

﴿فَمِنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٩٤)

[آل عمران: 94]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

من عاد إلى
الضلال بعد
ثبوت الحجة
بالتوراة، فأولئك
هم الظالمون

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهٗ ﷺ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، أَنْ يَتَحَدَّى الْيَهُودَ بِأَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ التَّوْرَةَ؛ لِيَنْتَصِرُوا لَمَّا ادَّعَوْهُ مِنْ وَجُودِ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَهُ يَعْقُوبُ عَلَى نَفْسِهِ فِي التَّوْرَةِ، وَأَنَّهُ حُرْمٌ عَلَيْهِمْ بِنَصِّهَا، فَلَمَّا تَحَدَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ عَجَزُوا عَنْهُ، وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ، فَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مَنْ يَفْتَرِي هَذِهِ الْفَرِيَةَ مِنْهُمْ، بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ الظَّاهِرِ هُمُ الظَّالِمُونَ؛ لِتَعْمُدَهُمُ الْكَذِبُ عَلَيْهِ تَعَالَى (١).

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(١) ﴿أَفْتَرَى﴾: فعل ماضٍ من الافتراء، وهو مرادف للاختلاق، أي: افتعال الكذب الذي لا أصل له، وجميع ما جاء منه في القرآن؛ فهو بهذا المعنى، وهو مأخوذ من الفَرَى، أي: التصنيع والتخليق، ومنه قولهم: فَرَى المَزَادَةَ - أي: القِرْبَةَ - إِذَا خَلَقَهَا، وَصَنَعَهَا (٢).

(٢) ﴿الظَّالِمُونَ﴾: مفردة ظالم، معناه في كلامهم: الذي يضع الأشياء في غير مواضعها، واحتجوا بقول ابن مقبل:

عَادَ الْأَدْلَةُ فِي دَارٍ وَكَانَ بِهَا *** هُرْتُ الشَّقَاشِقِ ظَلَامُونَ لِلْجُرْرِ (٣)
”ويقال: (من أشبه أباه فما ظلم)، وفي المثل: (من استرعى الذئب فقد ظلم)، والظلامة والظلمية والمظلمة: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أخذ منك. وتظلمني فلان، أي ظلمني مالي،

(١) الرَّاغِب، تفسير الرَّاغِب: 2/721، وأبو حَيَّان، البحر المحيط: 3/262.

(٢) الرَّاغِب، تفسير الرَّاغِب: 2/423، والفَيروزيَّادِي، القاموس المحيط: (فرى).

(٣) الأَثَبَارِيُّ، الرَّاهِر: 1/116.

وتظلم منه، أي اشتكى ظلمه، وتظالم القوم. وظلمت فلانا تظليما، إذا نسبته إلى الظلم⁽¹⁾.

✽ المعنى الإجمالي:

فمن كذب على الله تعالى، بنسبة حكم شرعي إليه بعد وضوح الحجة، فأولئك لا محالة هم الظالمون لأنفسهم بالكفر، ولغيرهم بالإغواء والإضلال، ذلك أن عجزهم عن التحدي ثابت متيقن، وعليه فإن من سؤلت له نفسه أن يخلق الكذب على الله، بعد ذلك، فهم المستمرون على الظلم المتصفون به حقاً⁽²⁾.

✽ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الجمع بين الكذب والافتراء في قوله: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: جاء الكذب في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ مؤكداً الافتراء الذي هو افتعال الكذب الذي لا أصل له، وفي الجمع بينهما أيضاً بيان لنوع الكذب الذي كذبه على الله تعالى، وأنه أعظم أنواع الكذب؛ إذ هو اختراع قصة لا أصل لها مطلقاً، وهو غاية في الظلم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: 21]⁽³⁾، ففي الجمع بينهما تبشيع لصنيع اليهود وزيادة تقبيح له، وبخاصة أن الكذب جاء معرفاً، كأن افتراءهم هو الكذب كله، بخلاف ما لو قيل: فمن افتري على الله كذباً.

✽ فائدة تقييد الافتراء بكونه: ﴿عَلَى اللَّهِ﴾:

في تقييد افتراء الكذب - بكونه على الله تعالى، واستعمال لفظ الجلالة خاصة - بيان لفداحة الخطأ، وعظم الجرم ممن ارتكب ذلك في حق الله تعالى؛ إذ إنه قد اختلق كذباً لا أصل له على الملك

الظالمون من
يفترون على الله
الكذب، بعد
بطادن الادعاء

كذب اليهود
المفتري على الله
أعظم أنواع
الكذب

ذكر الاسم
العظيم بيان
لعظم جرم
المفتري، وقبح
صنيعه

(1) الجوهري، الصحاح: (ظلم).

(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 86.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/10.

الأعظم، الذي يعلم السرّ وأخفى، ويقدر على المجازاة على هذا الافتراء، فأفاد هذا التقييد بهذه الكيفيّة كمال قبح مرتكب هذا الإثم العظيم⁽¹⁾.

دلالة إثبات الجارّ في ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾:

أُثْبِتَ الجارّ في ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ للدلالة على أنّ الكلام خارجٌ مخرج التحذير من افتراء الكذب على الله تعالى بعد ظهور الحقّ ووضوحه، فلا مفهوم مخالفة للكلام هنا؛ فإنّ الكذب منهّي عنه في أيّ زمنٍ كان، سواءً أكان بعد نزول هذه الآيات أم قبله⁽²⁾.

فائدة ذكر البعديّة في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾:

قُيِّدَ افتراء الكذب بكونه: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعد بيان القرآن الشافي، وبعد دحض شبه اليهود، مع أنّ الكذب على الله تعالى مذمومٌ في كلّ وقت وكلّ حال، وفائدة هذا التقييد: الدلالة على كمال قبح من كذب بعد هذا البيان، وأنّه في أسفل دركات الوقاحة⁽³⁾، وبيان أنّ من وقع منه الافتراء بعد الوضوح الشديّد قد بلغ الغاية في الإصرار على الكفر والعناد على الضلال البعيد.

بلاغة استعمال اسم الإشارة للبعيد في: ﴿فَأُولَئِكَ﴾:

جاء باسم الإشارة الخاصّ بالبعيد في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ إعلالاً بيّعد منزلة المجترئ المفتري على الله - بعد ظهور الحقّ - في الضلال والطغيان⁽⁴⁾.

دلالة القصر الإضافي في: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ جاء بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ المفيد لقصر المسند على المسند إليه؛ للدلالة على أنّ الإصرار

الإشارة إلى
تحريم الكذب
في كلّ زمان

افتراء الكذب
بعد ظهور
الحقّ هو في
القبح غاية، وفي
الوقاحة نهاية

تمكّن المفتري في
الضلال البعيد

(1) الرّأغب، تفسير الرّأغب: 2/723، والبقاعي، نظم الدرر: 5/3.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/3.

(3) الألويسي، روح المعاني: 2/220.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 2/59.

بيان علّة العذاب
أبلغ من ذكره،
وأشدّ في تهويله

على الافتراء على الله تعالى هو غاية الظلم، حتّى كأنّه لا ظالم إلا
مقترفٌ هذا الفعل الشنيع؛ لتعمّده الكذب على من لا تخفى عليه
خافية في الأرض، ولا في السّماء⁽¹⁾، وهو نوع من القصر الإضافي⁽²⁾
ولم يذكر الجواب المرتقب، فلم يقل: فأولئك لهم أشدّ العذاب مثلاً،
وإنّما جاء بسبب استحقاق أشدّ العذاب، وهو الظلم المبالغ فيه، كما
يدلّ عليه أسلوب القصر بتعريف الطرفين، فجاء بعليّة استحقاق
أشدّ العذاب، وهو أبلغ من التّعبير بنوع العذاب.

(1) البقاع، نظم الدرر: 5/3.

(2) وهو ما يكون التّخصيص فيه بالإضافة إلى شيء آخر، نحو قولك: زيد هو العالم، لن قال: زيد وعمرو عالمان، يُنظر: الدمنهوري،
حلية اللبّ للصون، ص: 89.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغاني].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 5، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-57-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 5: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغاني، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-57-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»